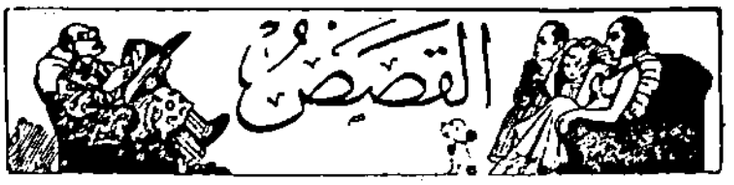

الاختيار الذى كسر قلبى

مقتبسة عن الانجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى

« ماذا يجب أن تعمل المرأة إذا هى ووجهت بهذه المشكلة؟ بل ماذا تستطيع أن تعمل ؟ وهل هناك قانون يحدد الصواب والخطأ تستطيع أن تسترشد به ؟ »

سألتنى صاحبتى ، بعد أن خرجنا من دار السينما على أثر مشاهدتنا الرواية الفوية « أنا كارنينا » :

— كيف استطاعت ذلك ؟ لقد كانت القصة رائعة حقاً وقد مثلت تمثيلا مدهشاً ، ولكننى لا أستطيع أن أصدق أن أية أمّ يمكن أن تتخلى عن طفلها جرياً وراء رجل ما، بلغ حبها ذلك الرجل ما بلغ من عنف ومن يأس !

فلم أقل شيئاً تعقيباً على كلمات صاحبتى ، ولكن يدى المتباعدتين فى قفازيهما تشنجتا وانطبقت شفتاى انطباقاً محكماً، ومن أين لها أن تتبين ذلك الألم الصامت الذى يمزق صدرى ويلهب رأسى ، فالنساء اللواتى يجتمعن فى الشرق الأقصى ويتحدثن ويثرثرن يصطنعن الصداقة ولكن لأغلبنا أسراراً يحتفظن بها فى أعماق قلوبهن لاتستطيع هذه الصداقة المزعومة أن تفض ختامها .

لقد تزوجت من « رونى كولبرن » لأننى كنت أحب « تيد بورتر » حب جنون ويأس. وليس لهذا التصرف من معنى معقول، على أن أشد من هذا بعداً عن كل معنى معقول أن « تيد » كان يحبنى وكان ، بعد أن تنتهى السنوات الثلاث المفروض عليه أن يقضيها فى الخدمة فيما وراء البحار ، طليقاً من كل قيد يحول دون زواجه منى . ولقد انتظرته سنتين من هذه السنوات الثلاث قضيتهما فى التلهى والتروض مع الشبان الآخرين ، ولكننى احتفظت فى أثنائهما بشفتى وجسمى وقلبى « لتيد » بعد عودته .

لقد كان ذلك أمراً شاقاً على ، بعد أن نعمت سنتين بقرب « تيد » وجسمه وقبلاته وضمات ساعديه ، ولكننى ظننت أننى أستطيع تحمل هذه التجربة القاسية ، لقد كان ذلك واجباً على حتى أكون أهلا « لتيد » فلقد كان يحارب الوحدة وحرارة جوّ الحى ، لا يجد حتى فتاة تواسيه أو شراباً ينعشه ، لقد كان « تيد » قوياً، وكان الرجل الذى لايحب غير امرأة واحدة — وكنت أنا هى تلك المرأة !

كان الله فى عونى ! فلم أكن أرغب فى إنسان غير « تيد » ولكن لم يكن لى مثل قوته . وكان « رونى كولبرن » ، الذى قابلته فى أثناء السنة الأخيرة من افتراقنا — إذ لم يبق غير اثنى عشر شهراً يعود « تيد » فى نهايتها إلى الوطن — كان رونى هذ شديد الإصرار والالحاح. وكان طروباً جذاباً فى أسلوب شيطانى. وقد صمم على أن أكون له . ولعل جريان دمى كان يزداد سرعة كلما دنا موعد رجوع « تيد » لذلك أصبحت لا أملك شعورى كلما لمسنى « رونى » ، وحدث فى ذات ليلة قضيناها فى رقص وبهجة رائعين أن رجانى فى توسل أن أسمح له « بقبلة واحدة » وإذ مال رأسى إلى الوراء شعرت بشفتيه تضغطان شفتى فكأنما كانت هذه القبلة طعاماً قدم لجائع تقتله المسغبة .

ووقفنا هناك متعانقين فى الشرفة وهو لا يفتأ يقول :

— ليس يضيرنا أننا لم يعرف أحدنا الآخر إلا منذ شهر واحد. فهذا هو الحب ياعزيزتى «بام» وستتزوجين منى ... فى الحال.

وحاولت رغبته اللجوجة ثلاثة أسابيع كنت فى أثنائها أتقى الاجتماع به ما استطعت ، وقلت فى نفسى إننى مجنونة حمقاء . ولكن غيبة « تيد » قد طالت حتى أننى ، ولو حننت إليه وعلى الرغم من كل ما كان بيننا ، لا أستطيع أن أذكر حتى ولا شكل وجهه . أما « رونى » فكان قريباً منى ، وكان شخصاً حقيقياً أراه وألمسه وأشعر بوجوده وهل كان شيئاً غير الحب ذلك الذى سرى فى كيانى سريان الكهرباء عندما ابتسم لى وأمسك بى ؟

وانتصر «رونى» آخر الأمر ، وقضينا إحدى «العطلات» الأسبوعية مختفين عن أعين الناس وتحت تأثير شعور لذّ مبهج مخيف،أقسمت أيماناً لم أقصد إلى الوفاء بها ، وكل ما كانت

أعزى به نفسي فكرة يائسة سخيفة هي أنني إن كنت قد أخطأت فإنني أستطيع أن أسترد حريتي بالطلاق . فكان كل ما حدث حلماً جنونياً مرعباً ، تدرج من دهشة الذين علموا بأمر زواجي ، إلى قضاء شهر العسل في المسكن الذي استأجرناه خصيصاً له ، ثم بخروجنا أمام الناس متأبطين — فكان حلماً خاطفاً غير مكتوب له الدوام .

ولم يكن بد من أن أستيقظ من ذلك الحلم فأدرك أنني قد تزوجت من رجل غريب عني في كل شيء . لقد كان لطيفاً يسر الإنسان أن يكون معه ولكنه لم يكن « تيد » . ولقد كنت كذلك المرأة الوحيدة « لروني » أيضاً ولكن على غير الطريقة العمياء النطوية على الوله والعبادة التي كانت تظهرني في عين « تيد » مثالا لكل شيء جميل .

ولم يلبث « روني » أن نظر إليّ النظرة العادية إلى الشيء المألوف ، لا يقبلني إلا نادراً إن خطرت له فكرة التقبيل على بال ، وكان من النادر أيضاً أن يقول لي إنه يحبني ، ولم يقصد قط النظر إلى ملابسي أو شعري ، ولم يكن ليبدي له من الإعجاب ما تشعر كل فتاة بأنه من حقها الواجب أداؤه لها .

وفي كثير من المرارة والألم ذكرت كيف لم أكن لأبدل ملبساً أو أضع دبوساً في شعري دون أن يهمس « تيد » في دقة «يا للسماء ياحبيبتي كيف تستطيعين أن تنوعي جمالك بهذه الوسائل العديدة ؟ » . وذكرت كيف كان يتدر أن يتركني أغيب عن نظره ، وكيف كان دائماً إذا ما اجتمعنا لمس يدي أو شعري أو شفتي ... يا لها من ذكرى ... فأواه يا تيد أواه ...

وبعد أسبوع واحد يصل « تيد » إلى الوطن وسيتجول في الطرقات المألوفة لنا في غير صحبتي وامله يذهب لزيارة أمي ، رافع الرأس متألماً ومتذكراً — كما أتذكرانا هنا في هـــذه البلدة الصغيرة في مقاطعة نور ثمبرلاند التي أخذني روني إليها بعد زواجنا .

لقد كانت الأزمة شديدة لذلك حمد « روني » الله إذ وفق إلى مركز كاتب في أحد الجراجات ، وهو عمل صغير يتقاضى أجراً عليه ثلاثة جنيهات في الأسبوع ، فاستأجرنا لأقامتنا مسكنا رخيصاً وعشنا عيشة رثة . فأين الآن ما كنت أتوقع من حياة ساحرة لقد أردت أن أعود إلى بيتي إلى أبي وأمي و « تيد » ولكن على الرغم من غضبي مما دفعني إليه روني ومن إهماله إياي بعد ذلك كنت أشفق عليه ، فلقد كان نصيبه من قسوة هذه الحياة مثل نصيبي منها : فمن شجار بيننا إلى حياة الفقر التي تحياها إلى اضطراره للعمل الشاق ساعات طويلة من اليوم . وكنت إذ ذاك كل شيء له في الوجود .

إن الحياة لتر عسير الحل ، فقد كان يجب ألا أتزوج منه ، وكان يجب ألا أستسلم أبداً للشفقة في بقائي معه حتى أصبح من العسير ، على كل حال ، أن أتركه ، لقد كان « تيد » في حاجة إليّ وكان مستعداً لأن يرجعني إليه في الحال ، وقد علمت ذلك من الخطاب العجيب الذي بعث به إلى متحدثاً في موضوع زواجي وفيه يقول : « إن سعادتك هي كل ما أعيش له ، يا « بام » . ولن يحل أحد مكانك من نفسي ، وسأنتظرك إلى الأبد ، فإذا أردتني مرة أخرى أو احتجت إلى ... »

إن أردته ؟ أو احتجت إليه ! إنني لم أكن أشد حاجة إليه مما أنا الآن ، ولكنني لم أكن لأستطيع الذهاب إليه وأنا أحمل جنين « روني » في أحشائي .

لقد فرح « روني » بهذا الخبر ، وقال : « إن هـذا الوليد سيبقينا معاً » تخيل إلى أن هذه الكلمات معناها الحكم بالسجن الأبدي ، فشعرت بما يشبه الجنون ... الأمومة ... الرباط الوثيق ... وحماسة روني الفرحة كل ذلك أثار عوامل غضبي . فقلت :

— وكيف يمكننا حتى أن نكفل هذا الوليد ؟

على أننا قد استطعنا ذلك على صورة ما . وقد أصاب روني في ذلك كما أصاب في قوله إن الوليد سيبقينا معاً — في بيت واحد ، فلقد بقينا معاً بالفعل سنتين على الأقل ، سنتين امتزجت في خلالها الفاقة في حياتنا بنشوة السرور .

لقد أحببت أنا وروني ابنتنا الصغيرة « سو » حباً مفرطاً ، ففي اللحظة التي وضعت فيها هذه الوليدة التي لا يزيد حجمها على حجم القطيطة ، بين ساعدي ، تحللت جميع عوامل البغضاء والغضب التي تملكتني تسعة أشهر طوال إلى شعور فياض بالرقة والمحبة . لقد كان صغر حجمها ! ومعجزة وجودها وجمالها ! كان كل ذلك باعث حب لا يطاوله حب ولا تدانيه أية عاطفة إنسانية . كذلك قبضت « سو » على قلب « روني » بقبضتها الصغيرة ،

فى حين أصبحت ، أنا التى كنت حبيبته من قبل ، ولا صفة لى إلا أننى أم ابنته ولا مهمة لى إلا السهر عليها والعناية بأمرها ، فقد انصرف حبه كله إلى أرجوحتها الصغيرة . فكان ينفق من المال مالا قبل لنا به على ابتياع اللعب والملابس الصغيرة ، وكان فى أغلب الأوقات يجلس فى الظلام إلى جانبها بعد أن تستغرق فى النوم ، وكان يقضى الوقت الطويل فى ملاعبتها معتقداً أنه وحده هو الذى علمها الشى والكلام ، وكان شديد التفاخر بأنها تشبهه بأنفها الشامخ ، وابتسامتها الساحرة ؛ فكانت حسبه من الحياة كلها ، وقد احتلت من نفسه مكمن العواطف والخيال ولم أكن أقل حباً لابنتى من أبيها لها . ولكنه كان حباً من طراز آخر . فلم يبد لى صواب القول بأن ثمرة الحب تضع حداً للاحساسات ، أيا كانت ، التى حملت اثنين على الاقتران أحدهما من الآخر . فقد خيل إلى أنه قد قدر لى أنا وروني أن نعيش متلازمين إلى الأبد ، ولكى أرفه من حياتنا ظننت أنه يجب علينا أن نأخذ بهذه الفكرة ، وأقسم إننى قد حاولت ذلك ، ولكن جمود روني وعدم قابليته لأن يفهم ما أنا محتاجة إليه غير البيت والطفلة والعلم بأنه مخلص لى وفى ، كل ذلك أشعرنى احتقاراً لنفسى حرمنى النوم . فكنت أبكي وأناقش وأتوسل ولكن ذلك كله لم يكن إلا ليزيد العلاقة بيننا سوءاً .

ثم إذا أدركت أن روني لا يستطيع أن يغير ما به اعتزمت أن أكتفى بحب الأمومة . فيجب أن أكتفى بملاحظة « سو » وهى تنمو من طفلة قوية البنية صحيحة الجسم إلى بنية صغيرة مرحة حلوة المحيا ، ولقد علمتها بعض الأغانى والشعر الخفيف ، وكنت أتروح معها كل يوم ماشيتين نجمع فى الشتاء أوراق الشجر الزاهية أو نتزلق على الجليد — وكنت أشعر بالكبرياء تملأ نفسى عندما يتلفت الناس إلينا فيبتسمون معجبين بخطواتها القصيرة السريعة وشعرها الناعم الذى يتلاعب به الهواء وعينيها الجميلتين البراقتين . لقد كانت جميلة حساسة سريعة الحركة بشوشة الوجه شديدة المرح ... لقد كانت ابنتى ... وهى لى وحدى آه يا « سو » ... « سو » عانق أمك يا ابنتى واملأى حياتها الموحشة سعادة وعزاء .

كان حب « سو » يعزينى فى أغلب الأحيان ، ولكنه لم يكن كل العزاء الذى تتعطش نفسى إليه ، فلقد كنت امرأة كما كنت أماً . وكنت لا أزال صغيرة جذابة كمثل ما كنت يوم تركنى « تيد » والآن أريد « سو » وأريد « تيد » ، ولكنى كنت أعلم — كن واقعى فى الفخ — أننى لن أستطيع أن أجمع بينهما . فإن روني لن يتخلى عن « سو » أبداً ، ولقد كان يندرنى بذلك كلما حدثته فى أمر الطلاق فكان يقول : « حسناً يا بام لك أن تطلبى الطلاق إذا كنت غير قادر على إسعادك — ولكنك ان تأخذى سو أبداً » .

ومع ذلك كان تفكيرى فى «تيد» يعذب نفسى ، لقد كنت أحلم به فى الليل وفى النهار . لقد كنت أتساءل : أين هو ؟ وحيثما كنا نذهب — وكنا كثيراً ما نغادر البيت — كنت أبحث عنه بنظرى بين الجماهير ، حائرة ، آملة . يقفز قلبى كلما رأيت رجلا طويل القامة عريض الفك مجعد الشعر — إذ كنت أتخيله « تيد » .

كنت أشعر أننى مندفعة فى طريق الجنون . ولو أننى عرفت على الأقل أخباره وطريق حياته لاطمأنت نفسى وهدأت أعصابى فصممت آخر الأمر على أن أكتب إليه ، معنونة الكتاب بعنوان بيته القديم الذى لا يزال فى رعاية أبويه اللذين لا شك فى أنهما يعرفان مقره الجديد وسيحولان الخطاب إليه .

(لها بقية) عبد الحميد حمدى

إعلان

تشهر وزارة الأوقاف عملية التركيبات الكهربائية بعمارة الشيخ يوسف بشارع القصر العينى بمصر فى الناقصة العامة وتقبل العطاءات بقسم المخازن والمشتريات بالوزارة لغاية ظهر يوم الاثنين الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٤٧ .

ويمكن الحصول على المستندات من خزانة الوزارة نظير مبلغ ٨١٠ مليم .

٨

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الاعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الاعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن الشبر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الاعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

مطبعة الرسالة